Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهو ليس بيتًا فحسب، بل هو شعار العرب فى كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، وقد ظلت أجيالهم إلى اليوم تضمه إلى صدورها عُوذةً أو تميمة حربية لتكيل للعدو الصاع صاعين. وبدون ريب لا تزال روميات أبى فراس الحماسية شابّة فتيّة، وكأنما نظمت اليوم، فمدادها لم يجف، ولا يزال نبضها قويًّا حارًّا أشدّ ما تكون الحرارة.

ولعل فى ذلك كله ما يصور من بعض الوجوه خلود الشعر وبقاءه على الزمن لما قلنا آنفًا من أنه يصدر عن الطبيعة الإنسانية المستقرة فى أعماق الناس، وهذه أولى أركانه. وركن ثان هو الإيقاع فكل شعر لابد فيه من إيقاع يتيح له أن يقتطع من مجرى الزمن الفانى لحظات وجدانية، كان يمكن أن تضيع من الإنسان إلى الأبد فإذا هو يبقيها بما يبثّ فيها من إيقاع حارّ يجعلها تستعصى على الفناء والعدم. ومعروف أن العرب فى الجاهلية استطاعوا أن يُحْكموا هذا الإيقاع إحكامًا دقيقًا بنسب موسيقية متكاملة، بحيث تتم للقصيدة وحدة فى النغم وتتضح فى كل بيت نفسُ الرنات مع قرار القافية الثابت. وركن ثالث هو الخيال وما ينثر فى القصيدة من تصاوير، لغرض استكمال التأثير فى السامع. وركن رابع يوجد أيضًا فى كل شعر هو الصياغة وقد بثّ فيها الشاعر الجاهلى كل ما استطاع من رصانة ونصاعة ورونق وعذوبة.

وهذه الأركان الأربعة هى المقاييس الفنية الأساسية فى كل شعر لأمة من الأمم. وبها يظل باقيًا خالدًا ويظل قديمه -كجديده- يفيض بحيوية لاتنضب أبدًا بل يظل قديمه جديدًا كأنما نظمه شعراؤه بالأمس مهما بعد عصره ومهما مرت عليه الحقب المتطاولة. وحقا يتطور الشعر من عصر إلى عصر، وتحدث فيه متغيرات تستمد من مجتمعه وحضارته وثقافته. ولكنه لا يقاس بها جميعًا ولا تتخذ معايير للحكم الفنى عليه. وبدون ريب يصوِّر الشاعر فى شعره إدراكه للحياة، وهو إدراك يتداخل فيه مجتمعه وكل ما يتصل به من نُظم ومبادئ وعقائد، وهو لا يهبط إلى مجتمعه من السماء بل ينشأ فيه وتنعكس عليه منه علائق شتى. وليس بصحيح أن الشعراء ينعزلون عن مجتمعاتهم ويعيشون فى أبراج عاجية،